لعامة أهل العلم والاجتهاد وذلك لأنها جمعت المعنيين والفائدتين
اللتين أحدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخا
لطة والمزاحمة في أمورهم والثانية المشاركة معهم في جمعهم
وجماعتهم وتكثير شعائر الإسلام فتحصل السلامة التي هي للمنفردين
والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين مع ما للناس فيهم من العزة
والبركة والنصيحة فصار الكون فيها أعدل طريق وأحسن
حال وأسلم سبيل ولهذا الشأن أقام أكثر من العارفين بين الناس
لنفعهم ولعباد الله تعالى في باب الدين وقلة أذاهم ومشا
هدة الخلق لآدابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فإن لسان
الحال أفصح من لسان المقال فصار ذلك أحسن لتدبير أمر
الدين والعلم والعبادة وأحكم رأي فإن قيل فما حال
المؤيد مع المجتهدين والمرتاضين أيصحبهم أم يعتزلهم فاعلم
أنهم إذا كانوا ثابتين على رسومهم الأولى وسيرهم الموروثة

عن سلفهم

عن أسلافهم فهم أجل إخوان في الله تعالى وأصحاب وأعوان
على عبادة الله تعالى فلا ينفك عنهم عزلة وتفرد وإنما مثلهم
مثل ما يجمع من زهاد لبنان وغيرهم أن منهم جماعات يتعا
ونون بالبر والتقوى ويتواصون بالحق وبالصبر وأما
إذا تغيروا وتركوا رسومهم وأخلوا بطرائقهم الموروثة
من أسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه
مع سائر الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم
في جمعاتهم وجماعاتهم في سائر أحوالهم وأوقاتهم فيكون مع عزلة
من أهل العزلة منفردا عن المنفردين فإن قلت فأي
اختيار هذا المجتهد المرتاض أن يخرج من بينهم إلى مكان آخر
لصلاح يراه في نفسه ويتجنب آفة تدخل في صحبتهم فاعلم
أن هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن يتحصن
بها المجتهدون عن القطاع والسراق وأن الخارج بمنزلة الصحـ
ـراء يدور فيها فرسان الدنيا طرا عسكرا عسكرا فسلم أن
يستأسروه